الفصل الخامس

الهدى النبوي المبارك في التربية

أعظم مُرَبٍّ[١] طرق البشرية هو النبي الخاتم ﷺ، وأعلى هدى وخير الهدى هو هدى محمد ﷺ، وأشرف جيل تربى على ظهر الأرض هو الجيل الذي رباه رسول ﷺ، وأجمل أوصاف وأسنى أخلاق وأطيب عقيدة ما تحلى به الصحابة الكرام ببركة تربية النبي عليه الصلاة والسلام، إنهم أوسمة شرف، ودرر مضيئة على جبين البشرية، ما سبقهم جيل على سمتهم ولا يمكن أن يأتي بعدهم في مثل روعتهم وجلالتهم، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وقد فعل - عَزَّ وَجَلَّ - وصلى الله وسلم وبارك على من أحسن تربيتهم، ورفع منارهم وارتفع بهم إلى درجات الرفعة والشرف في الدنيا والآخرة.

وهذه ومضات مضيئة، وأزهار متناسقة، وألوان فريدة، وأضواء عجيبة من هديه المبارك ﷺ في التربية:

١- فمن هديه المبارك ﷺ في التربية الحوار، واغتنام الفرص:

يقول الأستاذ عثمان قدري مكانسي ما ملخصه: «قد يمر الرسول ﷺ مع أصحابه في مكان فيرى أمرًا يستحق التعليق عليه، أو يسمع كلمة فيلقي الضوء عليها، فتكون هذه الكلمات من رسول الله ﷺ عِظة وعِبرة مؤثرة في نفوس أصحابه، وقد يحاور ﷺ أصحابه ليصل إلى فكرة يثبتها في عقولهم، أو يرشدهم بها ويهذب نفوسهم، ويدلهم على طريق الخير الموصل إلى رضا الله تعالى، فذكر أمثلة إلى أن قال:

---

(١) هذا الباب من أنفس وأعز أبواب الكتاب، لأن غاية المربي أن يعرف كيف ربى النبي ﷺ أصحابه الكرام فنحن نرى ثمرات تربيته ﷺ أطيب الثمرات، ولكن قد يخفى علينا طريقته ﷺ وهديه في التربية، وهذا يحتاج إلى دراسة للسيرة النبوية، ودراسة للشمائل المصطفوية.

ومن الأحاديث التي بينت صغار الدنيا وهوانها على الله تعالى ما رواه جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق، فمر بجدي أسك ميت فتناوله بأذنه ثم قال: أيكم يحب أن هذا له بدرهم.

قالوا: ما نحب أنه بشيء (أو ما نصنع به).

قال: أتحبون أنه لكم؟

قالوا: والله لو كان حيًّا كان هذا السك عيبًا فيه، فكيف وهو ميت؟

فقال: فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم(١).

أسلوب حواري عملي يرى رسول الله ﷺ جديًا مقطوع الأذنين ميتًا تزكم رائحته الأنوف يمسكه من إحدى أذنيه ويعرضه على أصحابه أن يشتروه بدرهم فيأبون - وماذا يفعلون بجيفة قذرة؟.. لو كان حيًّا وهو مقطوع الأذنين ما رغبوا فيه.. فكيف وهو ميت؟..

حين يصلون إلى هذا القرار يعظهم النبي ﷺ فيخرج الدنيا من قلوبهم: «إنها لا تساوي جناح بعوضة عند الله، وإلا ما كان سقى الكافر منها جرعة ماء»(٢).

ومن هديه ﷺ المبارك في التربية أنه كان إذا أمر بأمر ينفذه على نفسه فيجمع بين أمرهم به ومبادرته ﷺ بفعله:

كما فعل ﷺ يوم الحديبية فبعد أن تم بينه ﷺ وبين قريش الصلح، وكان من بنود هذا الصلح أن يرجع المسلمون هذا العام، وكانوا قد أحرموا

---

(١) رواه مسلم (١٨/ ٩٣) «الزهد»، وأبو داود [١٨٤ عون] «الطهارة»، وقوله: «أسك» صغير الأذنين.

(٢) «التربية النبوية» لعثمان قدري مكانسي [٥٥-٦١] باختصار ط. ابن حزم، وقوله: «إنها لا تساوي جناح بعوضة عند الله» من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**» رواه الترمذي وصححه الألباني بشواهده.

بالعمرة، وأن يعودوا من قابل أي في السنة السابعة من الهجرة لأداء العمرة، أمر النبي ﷺ الصحابة الكرام بأن يحلقوا أو يقصروا، وكان الصحابة في غاية الشوق إلى العمرة، وشق عليهم هذا الأمر فدخل النبي ﷺ على أم سلمة وأخبرها فأشارت عليه أن يخرج إلى أصحابه وأن يأمر حالقه بأن يحلقه، فلما رأى الصحابة رضي الله عنهم ذلك بادروا بتنفيذ أمره ﷺ وكادوا يذبح بعضهم بعضًا في سرعة تنفيذ أمره ﷺ.

وفي حفر الخندق كان النبي ﷺ يحفر مع الصحابة الكرام وهو يقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ... فارحم الأنصار والمهاجرة

وكانوا يرتجزون:

نحن الذين بايعوا محمدًا ... على الجهاد ما بقينا أبدًا

ولو اكتفى ﷺ بالإشراف العام وإعطاء الأوامر لم يكن ذلك منه ﷺ منكرًا، ولكنه شاركهم بنفسه مبالغة في تنشيطهم للعمل وطمعًا في ثواب الملك الوهاب، وحتى يتعلم الدعاة والمربون في كل زمان ومكان أن يجمعوا بين الأمر بالمعروف والعمل به، والنهي عن المنكر والانتهاء عنه ولا يكونوا مثل بني إسرائيل الذين عاتبهم الله - عَزَّ وَجَلَّ - بقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

٣- ومن هديه ﷺ المبارك في التربية أنه كان يتعهد أصحابه ويسألهم عن أحوالهم وعبادتهم، تنشيطًا لهم، ورفعًا لهمتهم في الطاعة والعبادة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا**» قال أبو بكر: أنا.

قال رسول الله ﷺ: «فمن تبع منكم اليوم جنازة».

قال أبو بكر: أنا.

قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟».

قال أبو بكر: أنا.

قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضًا».

قال أبو بكر: أنا.

قال النبي ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»[(١)].

فهذا أدب حسن للمربين في تعهد من يقومون بتربية، فيظهر لهم المقصر في الطاعة والعبادة فيخصونهم بمزيد من الاهتمام والنصح، وكذا يثنون على من ينشط للطاعة ويبشرونه بالخير، وفي الحديث بيان شرف الصحابة وهمتهم وبذلهم ومسارعتهم إلى طاعة الله - عَزَّ وَجَلَّ - خاصة السابقون الأولون وعلى رأسهم الصديق الأول رضي الله عنه.

من لي بمثل سيرك المدلل ... تسير رويدًا وتجيء في الأول

وقوله: «دخل الجنة».

قال النووي: قال القاضي: «معناه دخل الجنة بلا محاسبة ولا مجازاة على قبيح الأعمال، وإلا فمجرد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالى»[(٢)].

٤- ومن هديه ﷺ المبارك أنه كان يرغب الصحابة في الدرجات العالية والرتب السامية ويبعث فيهم الرغبة في التنافس في الخير:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه**».

فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يا

(١) رواه مسلم [١٠٢٨] «فضائل الصحابة»، والبخاري في «الأدب المفرد» [٥١٥].

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/ ٢٢٤).

رسول الله يشتكي عينيه، فقال: فأرسلوا إليه، فأتى به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لئن يهدي الله بك رجلا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»(١).

وفيه الارتفاع بهمم من يقوم المربي بتربيتهم، وتنبيههم إلى المراتب العالية، وحثهم على التنافس على الخير، والرغبة في الوصول إلى أعلى المراتب وأرفع الدرجات، وفيه أيضًا مناقب جمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وبيان شرف الدعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وأن هداية شخص واحد على يد الدعية خير من أنفس الأموال التي يتنافس عليها الناس، وعليها يتحاسدون، فنسأل الله أن يوفقنا في الدعوة إلى دينه وألَّا يحرمنا من هذا الخير العميم والرزق الكريم والشرف العظيم.

٥- ومن هَديه ﷺ في التربية أنه كان يلفت نظر الصحابة إلى ما كان يهمهم، فإذا سئل عن أمر وهو يعلم أن الأهم في حقهم أن يُعلمهم أمرًا أخر فكان يعرج على الأمر الآخر وهو ما يسمى بأسلوب الحكيم، أو الالتفات إلى الأهم:

فمن ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه أن أعرابيًا سأل النبي ﷺ فقال: متى الساعة يا رسول الله؟

فقال له رسول الله ﷺ: «ماذا أعددت لها؟».

قال: حب الله ورسوله.

فقال ﷺ: «أنت مع من أحببت»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٥٤٤) «المغازي»، وحمر النعم: هي الإبل الحمراء، وهي من أنفس الأموال عند العرب.

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٤٧٨)، «الأدب»، ومسلم [٢٦٣٩] «البر والصلة».

قال النووي: فيه فضل حب الله ورسوله ﷺ والصالحين وأهل الخير والأحياء والأموات، ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية، ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم، إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم، وقد صرح الحديث الذي بعد هذا بذلك، فقال: «أحب قومًا ولما يلحق بهم»[(١)].

٦- ومن هديه ﷺ أنه كان إذا رأى شيئًا من أصحابه أو بلغه عنهم شيء وأراد أن يدلهم وسائر أصحابه على الحق فيه أنه كان لا يصرح بأسمائهم ولكنه يلمح فيستر عليهم ويحصل مقصوده ﷺ من النصح فيقول ﷺ: «ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا».

كما في قصة الثلاثة الذين أتوا بيوت رسول الله ﷺ وسألوا عن عبادته فكأنهم تقالوها، فقال: أحدهم: أما أنا فأُصلي الليل أبدًا.

وقال الآخر: وأنا أصوم فلا أفطر.

وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا.

فقال: «ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا».

ثم قال: «ولكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[(٢)].

وعن أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلًا من الأسد يُقال له ابن اللتبية فلما قدم قال: هذا لكم وهذا لي، أُهدي لي. قال: فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «ما بال عامل أبعثه، فيقول: هذا أُهدي لكم، وهذا أُهدي لي أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا. والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئًا إلا جاء به يوم

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٦/ ٢٨٥).

(٢) الحديث رواه البخاري (٩/ ٨٩-٩٠) «النكاح»، ومسلم (٩/ ١٧٦) «النكاح».

القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر» - ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه - ثم قال: «اللَّهُمَّ هل بلغت؟» مرتين[١].

٧- ومن هديه المبارك ﷺ أنه كان يربي أصحابه على السمع والطاعة ومعرفة بركة الانقياد للسنة ولو أدى ذلك إلى تحمل شيء من العنت والمشقة:

كما حدث في حصار الطائف: عن عبد الله بن عمرو قال: حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف فلم ينل منهم شيئًا، فقال: «إنا قافلون إن شاء الله» قال أصحابه: نرجع ولم نفتحه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «اغدوا على القتال» فغدوا عليه فأصابهم جراح، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إنا قافلون غدًا» قال: فأعجبهم ذلك فضحك رسول الله ﷺ[٢].

وفي هذا واعظ لأصحاب الفكر المصلحي الذين يخالفون السنة ويتعللون بأن في ذلك مصلحة للدعوة، فيحرمون أنفسهم من أحسن الهدى، ويقدمون العقول والآراء والأقيسة على الثابت من سنته ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

٨- ومن هديه ﷺ التربوي أنه كان يربيهم على الطاعة المطلقة لله - عز وجل - ولرسوله ﷺ أما طاعة ولي الأمر أو الولد لأبيه أو الزوجة لزوجها فهي مقيدة، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إنما الطاعة في المعروف:

ومن أمثلة ذلك قصة عبد الله بن حذافة المذكورة آنفًا عندما أوقد نارًا وأمر أصحابه بالدخول فيها، وقال النبي ﷺ: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا»[٣].

---

(١) رواه البخاري مختصرًا (٣/ ٤٢٨) «الزكاة»، ومسلم واللفظ له [١٨٣٢] «الإمارة».

(٢) رواه مسلم (١٢/ ١٢٢-١٢٣) «الجهاد والسير»، والبخاري (٧/ ٦٤٠) «المغازي».

(٣) تقدم تخريجه.

وقد تقررت هذه المعاني في نفوس الصحابة الكرام، فلما استخلف أبو بكر رضي الله عنه خطب الناس وقال: أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم.

وقال عمر بن عبد العزيز: «يا أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم»(١).

٩- ومن هديه ﷺ أنه كان يثني على من ظهر منه ما يستحق الثناء ويُبشره بالخير والرفعة فيكون ذلك دافعًا له ولغيره إلى طاعة الله:

قال رسول الله ﷺ لطلحة بن عبيد الله يوم أُحد.

أوجب طلحة. وقد وقى طلحة رضي الله عنه رسول الله ﷺ بيده فشلت يده(٢).

وقوله: أوجب أي: وجبت له الجنة.

وقال ﷺ: «من جهز جيش العسرة فله الجنة».

فجاء عثمان بن عفان رضي الله عنه بألف دينار فصبها في حجر النبي ﷺ والنبي ﷺ يقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم»(٣).

ولما عرض النبي ﷺ بقرب أجله وقال: عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده، فبكى أبو بكر وبكى، فقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أعلمنا به فأثنى النبي ﷺ على أبي بكر وقال: «إن أمن الناس علي في ماله وصحبته أبو بكر، ولو

(١) «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز» لابن الجوزي [٦٥-٦٦] ط. دار الكتب العلمية.

(٢) رواه الترمذي [٣٧٣٨] «المناقب»، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٣) رواه أحمد (٥/ ٦٣)، وكذا في «فضائل الصحابة» (١/ ٤٥٧-٤٥٨)، والترمذي [٣٧٠١] «المناقب»، وقال، هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وحسنه الألباني.

كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخوة الإسلام. لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر»[١].

١٠- ومن ذلك أنه كان يربي الصحابة الكرام على احترام من له سبق وبذل في الإسلام، فلا يستوي من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل وكلًا وعد الله الحسنى:

لما اختلف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وذهب أبو بكر ليعتذر إلى عمر رضي الله عنه فأبى قبول اعتذاره وذهب أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، وقص عليه القصة، فغضب ﷺ لغضب أبي بكر، وقال: «فهل أنتم تاركوا لي صاحبي» مرتين فما أوذي بعدها[٢].

وكذا لما اختلف عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد رضي الله عنهما، وعبد الرحمن من المهاجرين الأولين ومن العشرة المبشرين: فغضب النبي ﷺ لعبد الرحمن وقال: «لا تسبوا أصحابي فلوا أنفق أحدكم مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[٣].

مع أن خالدًا من أصحابه ﷺ إلا أن عبد الرحمن أخصُّ به وأقدم صحبة منه، وفي هذا تربية للأمة لاحترام أهل السبق والعلم والفضل وكذا احترام الصغير والكبير، ومعرفة أقدار الناس، وأنهم يتفاضلون بالعلم، والسبق والتقوى، لا بالحسب والنسب والمال.

---

(١) رواه مسلم [٢٣٨٢] «فضائل الصحابة»، والبخاري مختصرًا (٧/ ٢١) «فضائل الصحابة»، وأحمد (٣/ ١٨).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٢٢) «المغازي».

(٣) رواه البخاري (٧/ ٢١) «فضائل الصحابة»، ومسلم (١٦/ ٢٣) «فضائل الصحابة» وأحمد في «المسند» (٣/ ١١) **والنصيف**: النصف على التصغير.

١١- ومن هديه ﷺ أنه كان يربي الصحابة على محبة البذل والتضحية بأموالهم وأنفسهم، وكان هو ﷺ مثلهم الأعلى في ذلك، فكان أجود الناس، وأشجع الناس ﷺ:

فر الصحابة يوم حنين لما استقبلتهم هوزان برشق من نبل، ورسول الله ﷺ يسرع بدابته إليهم، والعباس آخذ بلجامها لئلا تسرع إليهم شفقة على رسول الله ﷺ كما رغَّبهم ﷺ في الجهاد والاستشهاد.

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل»(١).

وقال ﷺ: «من مات ولم يغزُ ولم تحدثه نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق»(٢).

١٢- ومن هديه ﷺ أنه كان يربي الصحابة الكرام على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة:

فكان يقول: «ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»(٣).

وكان يقول: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦/ ١٦) «الجهاد»، ومسلم (١٣/ ٢٠) «الإمارة».

(٢) رواه مسلم (١٣/ ٥٦) «الإمارة»، وأبو داود [٢٤٨٥عون] «الجهاد»، والنسائي (٦/ ٨) «الجهاد».

(٣) رواه الترمذي [٢٣٧٧] «الزهد»، وابن ماجه [٤١٠٩]، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني [١٩٣٦] «صحيح الترمذي».

(٤) رواه الترمذي (٩/ ١٩٨عارضة) «الزهد»، وابن ماجه [٢٤١٠] «الزهد»، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [٩٤٠].

ولما دخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورأى الحصير قد أثر في جنبه، فبكى وقال له: ذكرت كسرى وقيصر وهم ينامون في الحرير والديباج.

فقال له صلى الله عليه وسلم: «أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا»، فكان الصحابة رضي الله عنهم أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة. كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه للتابعين: لأنتم أكثر عملًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم كانوا خيرًا منكم، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة، وهذا الزهد في الدنيا هو الذي دفع الصحابة رضي الله عنهم إلى البذل والتضحية وطلب الآخرة، وعدم الاغترار بزينة الدنيا وزخرفها.

١٣- ومن هديه صلى الله عليه وسلم المبارك أنه كان يربي أصحابه على علو الهمة وطلب معالي الأمور:

قال صلى الله عليه وسلم: «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة وسقفه عرش الرحمن»[(١)]، وعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «**سل**» فقلت أسألك مرافقتك في الجنة. قال: «**أو غير ذلك**» قلت: هو ذاك. قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود»[(٢)]، فكانت همة الصحابة في الزهد وطلب العلم والجهاد والدعوة والدعاء أعلى همة رضي الله عنهم وبهذه الهمة العالية سادوا الدنيا وحكموا العالم.

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٢١٤) «الدعوات» بمعناه، ومسلم (١٧/ ٥-٦) «الذكر والدعاء».

(٢) رواه مسلم [٤٨٩] «الصلاة»، وقال النووي: «فيه الحث على كثرة السجود والترغيب فيه والمراد به السجود في الصلاة وفيه دليل لمن يقول تكثير السجود أفضل من إطالة القيام وهو موافق لقول الله تعالى: واسجد واقترب ولأن السجود في غاية التواضع والعبودية لله تعالى وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها وهو وجهه من التراب الذي يداس ويمتهن» باختصار من (٤/ ٢٧٤-٢٧٥) «شرح النووي».

١٤- ومن هديه ﷺ أنه كان يربي الصحابة على الصبر على البلاء ويعلمهم أن الابتلاء سنة ماضية، وأن أصحاب الدعوات لابد وأن يبتلوا فإذا صبروا واحتسبوا كانت لهم العاقبة في الدنيا والآخرة:

ذهب خباب بن الأرت إلى رسول الله ﷺ وكان المشركون قد وضعوه في ماء حار ثم ألقوه على ظهره وداسو على بطنه، فبرص ظهره، فذهب خباب رضي الله عنه يقول لرسول الله ﷺ: «ألا تدعو الله لنا فقعد وهو محمر وجهه»، فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله[(١)].

قال الحافظ: قال ابن التين: كان هؤلاء الذي فعل بهم ذلك أنبياء أو أتباعهم قال: وكان في الصحابة من لو فعل به ذلك لصبر، إلى أن قال: وما زال خلق من الصحابة وأتباعهم فمن بعدهم يؤذون في الله، ولو أخذوا بالرخصة لساغ لهم[(٢)].

١٥- ومن هديه ﷺ المبارك أنه كان يربي الصحابة الكرام على حُسن الخلق مع القريب والبعيد، والعدو والصديق:

عن عائشة رضي الله عنها أن يهودا أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم. فقالت: وعليكم ولعنكم الله وغضب عليكم.

فقال النبي ﷺ: «مهلًا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش».

قالت: أو لم تسمع ما قالوا.

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٢٠٢) «مناقب الأنصار»، وأحمد (٥/ ١٠٩).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٢٠٤).

قال ﷺ: «أو لم تسمعي ما قلت؟» وكان ﷺ قد رد عليهم بقوله: «وعليكم»[(١)].

فإذا كان ذلك خلقه ﷺ مع أعدائه فكيف به مع أوليائه وأحبائه، فلقن ﷺ عائشة رضي الله عنها والأمة كلها هذا الدرس الكريم في حُسن الخلق، والبعد عن البذاء والفحش، واستعمال الألفاظ الحسنة، كما قال إبراهيم الخليل أبو الأنبياء وإمام الحنفاء لأبيه وكان من أغبى البشر وأكفرهم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].

ردًا على قوله له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]، وهذا هو الإحسان، وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة.

١٦- ومن هديه ﷺ أنه كان ينشط أذهان أصحابه ويختبر ذكاءهم وعلمهم:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها، وأنها مثل المسلم حدثوني ما هي» قال: فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة. ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة». وبوب له البخاري في كتاب «العلم»: باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم[(٢)].

قال الحافظ: وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصوير المعاني لترسخ في الذهن، ولتجديد الفكر في النظر في حكم الحادثة، وفيه إشارة إلى أن تشبيه الشيء بالشيء لا يلزم أن يكون نظيره من جميع وجوهه، فإن المؤمن لا يماثله شيء من الجمادات

---

(١) رواه مسلم [٢١٦٥] «السلام»، وقال النووي: وفي هذا الحديث استحباب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين إذا لم تترتب عليه مفسدة. قال الشافعي رحمه الله: الكيس العاقل هو الفطن المتغافل. «شرح النووي» (١٤/ ٢١٠).

(٢) رواه البخاري (١/ ١٨٧) «العلم»، ومسلم [٢٨١١] «صفات المنافقين».

ولا يعادله، وفيه توقير الكبير، وتقديم الصغير أباه في القول، وأنه لا يبادره بما فهمه وإن ظن أنه الصواب، وفيه أن العالم الكبير قد يخفى عليه ما يدركه من هو دونه، لأن العلم مواهب، والله يؤتي فضله من يشاء[١].

١٧- ومن هديه ﷺ أنه كان يشوق الصحابة للعلم ويسهل عليهم حفظه:

كما قال النبي ﷺ لمعاذ: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله» قال: الله ورسوله أعلم.

فقال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا» فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشر فيتكلوا»[٢].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط»[٣].

١٨- ومن هديه ﷺ أنه كان يرغب الصحابة في الاجتهاد في الطاعة والعبادة وكان هذا الترغيب منه ﷺ ببيان فضل العبادة والطاعة كما في قوله ﷺ:

«أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل»[٤].

---

(١) «فتح الباري» (١/ ١٧٧).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٥٨) «الجهاد»، ومسلم (١٠/ ٢٣٠-٢٣٢) «الإيمان».

(٣) رواه مسلم (٣/ ١٤١) «الطهارة»، والترمذي (١/ ٦٧ عارضة) «الطهارة»، والنسائي (٣/ ٢٠٧) «قيام الليل».

(٤) رواه مسلم (٨/ ٥٥) «الصيام»، وأبو داود [٢٤١٢ عون] «الصوم»، والترمذي (٢/ ٢٢٧ عارضة) والنسائي (٣/ ٣٠٧) «قيام الليل».

وكذا قوله ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»[(١)]، وإما أن يرشد بعض الصحابة إلى خصلة من خصال الخير أو ينبهه إليها كما قال ﷺ: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»[(٢)]، قال سالم بن عبد الله ابن عمر: فكان عبد الله لا ينام بعد ذلك من الليل إلا قليلًا.

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة فقال: «ألا تصليان؟» فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا: فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليَّ شيئًا ثم سمعته وهو مُوَلٍّ يضرب فخذه وهو يقول: «وكان الإنسان أكثر شيءٍ جدلا»[(٣)].

١٩- ومن هديه ﷺ أنه كان يداعب الصحابة رضي الله عنهم أحيانًا ولكنه لا يقول إلا حقًا وصدقًا:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا؟

قال: «إني لا أقول إلا حقًا»[(٤)].

وعن أنس أن رجلًا استحمل رسول الله ﷺ فقال: «إني حاملك على

---

(١) رواه البخاري (٤/ ٥٠) «التراويح».

(٢) رواه البخاري (٣/ ٦) «التهجد».

(٣) رواه البخاري (٣/ ١٠) «التهجد»، ومسلم (٦/ ٦٤-٦٥) «المساجد»، وقال الحافظ: قال ابن بطال: فيه فضيلة قيام الليل، وإيقاظ النائمين من الأهل والقرابة لذلك. قال الطبري: لولا ما علم النبي ﷺ من عظم فضل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكنًا لكنه اختار لهم إحراز تلك الفضيلة.

(٤) رواه الترمذي [١٩٩٠] «البر والصلة»، وأحمد [٣٦٠]، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في «الصحيحة» [٧٢٦].

ولد ناقة» فقال: يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النوق»(١).

وعن محمود بن الربيع قال: «عقلت من النبي ﷺ مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو»(٢) والمج: هو إرسال الماء من الفم.

قال الحافظ: وفعله النبي ﷺ مع محمود إما مداعبة معه أو ليبارك عليه بها، كما كان ذلك من شأنه مع أولاد الصحابة رضي الله عنهم(٣).

٢٠- ومن هديه ﷺ أنه كان يحذر أصحابه من أسباب الغواية، ويسد دونهم أبواب الفتن:

عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعًا يقول: «سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن وماذا أنزل من الفتن؟ ومن يوقظ صواحب الحجرات - يريد أزواجه - لكي يصلين؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة»(٤).

وعن جرير قال: قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «استنصت الناس» ثم قال: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»(٥).

وقال ﷺ: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ أو معاذًا فليعذ به»(٦).

---

(١) رواه الترمذي [١٩٩١] «البر والصلة»، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني [١٦٢٣] «صحيح الترمذي».

(٢) رواه البخاري (١/ ٢٠٧).

(٣) «فتح الباري» (١/ ٢٠٧).

(٤) رواه البخاري (١٣/ ٢٢) «الفتن».

(٥) رواه البخاري (١٣/ ٢٩) «الفتن».

(٦) رواه البخاري (١٣/ ٣٣) «الفتن».

٢١- ومن هديه ﷺ أنه كان يدعو لأصحابه رضي الله عنهم:

كما دعا ﷺ لأنس بن مالك، بطول العمر، وكثرة المال والولد، ودعا ﷺ لابن عباس بالفقه في الدين وعلم التأويل - أي: التفسير - ودعا لأبي هريرة بالحفظ، ودعا لأبي عامر الأشعري وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، ودعا لأبي طلحة وزوجته أم سليم، ودعاؤه ﷺ مستجاب لعظيم منزلته عند الواحد الوهاب.

٢٢- ومن هديه ﷺ أنه كان يربي أصحابه على الاستعفاف والاستغناء عن الناس بالعمل وإن كان فيه مشقة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفذ ما عنده.

فقال: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر»(١).

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثم قال: «يا حكيم إذ هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى».

قال حكيم: فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيمًا إلى العطاء فيأبى أن يقبل منه، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئًا، فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي(٢).

(١) رواه البخاري (٣/ ٣٩٢) «الزكاة».

(٢) رواه البخاري (٣/ ٣٩٣) «الزكاة».

٢٣- ومن هديه ﷺ أنه كان يحرص على مؤاخاة الصحابة بعضهم لبعض وعلى زيادة محبتهم في الله - عَزَّ وَجَلَّ -:

فقد آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة المباركة وكان كل واحد منهما يرث أخاه حتى نسخ ذلك بقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]، وكان ﷺ حريصًا على حب الصحابة بعضهم لبعض في الله - عَزَّ وَجَلَّ - ولله - عَزَّ وَجَلَّ -، فقد قال له بعضهم: والله إني لأحب هذا في الله، فقال: أأعلمته قال: لا. قال: قم فأعلمه.

وقال: إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه، وهذا مما يزداد به الحب في الله - عَزَّ وَجَلَّ - وتعظم ثمرته.

٢٤- ومن هديه ﷺ أنه كان يربي أصحابه على النصح لكل مسلم:

عن زياد بن علاقة قال: «سمعت جرير بن عبد الله يقول يوم مات المغيرة بن شعبة، فقام فحمد الله وأثنى عليه وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن. ثم قال: استعفوا لأميركم فإنه كان يحب العفو، ثم قال: أما بعد فإني أتيت النبي ﷺ قلت: أبايعك على الإسلام، فشرط علي: «والنصح لكل مسلم» فبايعته على هذا، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم ثم استغفر ونزل»[(١)].

قال الحافظ: «ختم البخاري كتاب «الإيمان» ببيان النصيحة مشيرًا إلى أنه عمل بمقتضاه في الإرشاد إلى العمل بالحديث الصحيح دون السقيم، ثم ختمه بخطبة جرير المتضمنة لشرح حاله في تصنيفه فأومأ بقوله: «فإنما يأتيكم الآن» إلى وجوب التمسك بالشرائع حتى يأتي من يقيمها، إذ لا تزال طائفة منصورة وهم فقهاء أصحاب الحديث وبقوله: «استعفوا لأميركم» إلى طلب الدعاء له لعمله الفاضل ثم ختم بقوله: «استغفر

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٦٨) «الإيمان».

ونزل» فأشعر بختم الباب ثم عقبه بكتاب العلم لما دل عليه حديث النصيحة أن معظمها يقع بالتعلم والتعليم[١].

نماذج من ملاحظاته وتفقداته ﷺ لأصحابه:

قال الدكتور عبد الله ناصح علوان: من ملاحظاته في التربية الاجتماعية ما رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إياكم والجلوس في الطرقات**» فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بُد نتحدث فيها، فقال رسول الله ﷺ: «فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطُوا الطريق حقه» قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٢].

ومن ملاحظاته في التحذير من الحرام ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعله في يده» فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك وانتفع به.

قال: لا والله لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ[٣].

---

(١) «فتح الباري» (١/ ١٦٩).

(٢) رواه البخاري (١١/ ١٠) «الاستئذان»، ومسلم [٢١٢١] «اللباس».

قال النووي: وهذا من الأحاديث الجامعة وأحكامه ظاهرة وينبغي أن يتجنب الجلوس في الطرقات لهذا الحديث ويدخل في كف الأذى اجتناب الغيبة وظن السوء واحتقار بعض المارين وتضييق الطريق وكذا إذا كان القاعدون ممن يهابهم المارون أو يخافون منهم ويمتنعون من المرور في أشغالهم بسبب ذلك لكونهم لا يجدون طريقًا إلا ذلك الموضع. «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٤/ ١٤٥).

(٣) رواه مسلم [٢٠٩٠] «اللباس»، وقال النووي: فيه المبالغة في امتثال أمر رسول الله ﷺ واجتناب نهيه وعدم الترخص فيه بالتأويلات الضعيفة. «شرح النووي» (١٤/ ٩٢).

ومن ملاحظاته في تأديب الصغار ما رواه البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»[(١)]، ومن ملاحظاته في إرشاد الكبار ما رواه أبو داود والبيهقي عن عبدالله بن عامر رضي الله عنه قال: دعتني أمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطك، فقال رسول الله ﷺ: «ما أردت أن تعطيه؟» قالت: أردت أن أعطيه تمرًا فقال لها رسول الله ﷺ: «أما إنك لو لم تعطهِ شيئًا كتبت عليك كذبة»[(٢)].

ومن ملاحظاته في التربية الخلقية ما رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلًا ذكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيرًا، فقال النبي ﷺ: «ويحك قطعت عنق صاحبك» يقوله مرارًا: «إن كان أحدكم مادحًا لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا، إن كان يرى أنه كذلك وحسيبه الله، ولا يزكى على الله أحد»[(٣)].

ومن ملاحظاته في التربية النفسية ما رواه الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت ابني غلامًا كان لي، فقال رسول الله ﷺ: «أكل ولدك نحلته مثل هذا؟» فقال: لا؟ فقال: فأرجعه.. وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟» قال: لا. قال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم» فرجع أبي فرد تلك الصدقة.

وفي رواية: قال عليه الصلاة والسلام: «فلا تشهدني إذًا، فإني لا أشهد على جور»[(٤)].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو داود [٤٩٧٠] «الأدب»، وأحمد (٣/ ٤٤٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [٧٤٨].

(٣) رواه البخاري (١٠/ ٤٧٦) «الأدب»، ومسلم (١٨/ ١٢٦-١٢٧) «الزهد»، وأبو داود [٤٧٨٤ عون].

(٤) رواه البخاري (٥/ ٢٥٠) «الهبة»، ومسلم [١٦٢٣] «الهبة»، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٧٥١).

ومن ملاحظاته في التربية الجسمية: حين رأى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من يشرب شربًا واحدًا كشرب البعير، فقال لهم كما روى الترمذي: «لا تشربوا شربًا واحدًا كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسموا إذا أنتم شربتم، واحمدوا إذا أنتم رفعتم»(١).

وروى البخاري في «صحيحه» أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يمر على أصحابه في حلقات الرمي فيشجعهم ويقول لهم: «ارموا أنا معكم كلكم»(٢).

ومن ملاحظاته في التربية الدعوية وأخذ الناس بالرفق ما رواه الشيخان عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مشيت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليه برد نجراني غليظ، فأدركه أعرابي فجذبه - أي: جذب الثوب - جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أثر فيه حاشية البرد من شدة جذبه. ثم قال الأعرابي: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضحك ثم أمر له بعطاء»(٣).

تلكم بعض النماذج من مراقبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبناء المجتمع الذي كان يقوم على هدايته وإصلاحه، وهي نماذج حية واقعية، تؤكد حرص الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تربية الناس، ومعالجة أمورهم، وإصلاح أحوالهم، والرفع من مستواهم(٤).

(١) رواه الترمذي [١٠٨٥] «الأشربة»، وقال: هذا حديث غريب وضعفه الألباني رقم [٣٢٠] «ضعيف سنن الترمذي».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري (١٠/ ٥١٩) «الأدب»، ومسلم [١٠٥٧] «الزكاة»، وأحمد (٣/ ١٥٣).

(٤) بتصرف من «تربية الأولاد في الإسلام» (٢/ ٧٣٠-٧٣٢).